تذكير الأنام بفضل صلاةِ القيامِ

تأليف

عبد الهادي بن حسن وهبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، وحده لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أمَّا بعدُ.. فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللَّه، وأحسنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمور محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ

ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

أمَّا بعدُ: فإنَّ قيامَ اللَّيلِ عبادةٌ جليلةٌ، وقربةٌ عظيمةٌ، وشريعةٌ ربَّانيةٌ، وسنَّةٌ نبويةٌ، وخَصلةٌ حميدةٌ، ومدرسةٌ إيمانيةٌ، وخلوةٌ بربِّ البريةِ.

ومَعَ كلِّ هذهِ الخصالِ الحميدةِ، والصِّفاتِ المجيدةِ، فإنَّ هذهِ الشعيرةَ الجليلةَ قلَّ الراغبونَ فيها، وأصبحتْ عندَ كثيرٍ مِنَ النَّاسِ نَسْياً مَنْسِيّاً. فإنَّا للَّه وإنَّا إليهِ راجعون!

ولقد وفَّقني المولى الكريم ﷻ لجمع هذا البحثِ تذكيراً بصلاة اللَّيلِ، وحثاً عليها، والله أسأل أنْ يجعلَ

عملي خالصاً لوجههِ الكريم، إنَّهُ سميعٌ مجيبٌ.

الراجي عفو ربِّه
عبد الهادي بن حسن وهبي[1]

(١) بيروت ـ لبنان. ص.ب ١٣/٦٠٩٣ شوران.
- هاتف ٠٣/٦٢٦٧٨٧
- فاكس: ٠١/٧٩١٠٥١
- موقع الإنترنت: WWW.asseraj.com
- البريد الإلكتروني: asseraj@hotmail.com



الترغيب في قيام الليل

اعلمْ ـ رحمكَ اللَّهُ ـ بأنَّ صلاةَ اللَّيلِ عبادةٌ عظيمةٌ، فلئنْ ظفرتَ بها، فكمْ تجدُ فيها منْ خيرٍ كثيرٍ، وفوزٍ كبيرٍ، وغُنْمٍ جسيمٍ.

لقدْ عظمَ قدرها، وجَلَّ موقعهَا، فَحُقَّ لها أنْ يُجَلَّ قدرُهَا ويُلزمَ طلبُهَا.

وفيما يلي نوردُ ثمرات طيبة يجنيها المتهجّدونَ، فألقِ سمعكَ وأحضر قلبكَ، و تأمَّلها تأمُّل طالبٍ للعملِ،

وكنْ مِنَ الذينَ يستمعونَ القولَ فيتَّبعون أحسنَهُ.

❍ قُرب الربِّ من عبده القائم:

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ ﵁، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ**»[1].

وقربهُ تبارَك وتعَالى منْ عبدهِ

(١) رواه الترمذي (٣٥٧٩)، وصححه الألباني ﵀ في «صحيح سنن الترمذي» (٢٨٣٣).

الذَّاكر في جوفِ اللَّيلِ هوَ غايةُ الأمانـي، ونهايةُ الآمالِ، وقرَّةُ العيونِ، وحياةُ القلوبِ، وسعادةُ العبدِ كلُّها[1].

○ **الرفعة في الدنيا والآخرة:**

عنْ سهلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه قالَ: جاء جبريل عليه السلام إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «**يا محمَّد عِشْ ما شئتَ فإنَّك ميِّتٌ، وأَحْبِبْ منْ أَحْبَبْتَ فإنَّك مُفَارِقُهُ، واعملْ ما شئتَ فإنَّكَ مَجْزِيٌّ بهِ**. ثمَّ قالَ: **يا محمَّد، شرفُ المؤمن قيامُ**

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٤٥).

اللَّيلِ، وعزُّه استغناؤُهُ عَنِ النَّاسِ»[1].

الشرفُ لغةً: العلوُّ، وشرفُ كلِّ شيءٍ أعلاهُ. فلمَّا وقفَ المصلِّي في ليلهِ متذلِّلاً متخشِّعاً بينَ يدي مولاهُ، شرَّفهُ ورفعَ قَدْرَهَ وأعلى منزلَتَهُ في الجنانِ.

○ **طيبُ النفسِ وانشراحِ الصدرِ:**

إنَّ المتهجِّدَ في اللَّيلِ مِنْ أَرْوَحِ النَّاس بدناً، وأَنْعَمِهم عيشاً، وأَقَرِّهم

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٩٢١)، وحسّنه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٧٣).

عيناً، وأطيَبِهم نفساً، وأفرَحِهم قلباً.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ على مكان كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ. فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ**»[1].

(١) رواه البخاري (١١٤٢و ٣٢٦٩)، ومسلم (٧٧٦).

وظاهرُ الحديثِ أنَّ منْ لمْ يَجمعِ الأمورَ الثلاثةَ: وهي الذِّكرُ والوضوءُ والصَّلاةُ فهوَ داخلٌ فيمنْ يصبحُ خبيثَ النَّفسِ كسلانَ[1] قدْ بالَ الشَّيطانُ في أذنيهِ.

عَنْ ابن مَسْعُود رضي الله عنه قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ فقَالَ: «**ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ**» أَوْ قَالَ: «**فِي أُذُنِهِ**»[2].

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٦٧).
(٢) رواه البخاري (١١٤٤ و٣٢٧٠)، ومسلم (٧٧٤).

❍ الفوز بمحبةِ اللّهِ تعالى:

ومحبة اللَّه للعبدِ هيَ أعلى ما تمنَّاهُ المؤمنونَ، وأفضلُ ما سألهُ السائلونَ، ومنْ أحبَّهُ اللَّه تعالى كانَ سمعَهُ الذي يسمعُ بهِ، وبصَرَهُ الذي يُبصر بهِ، ويَدَهُ التي يبطش بها، ورجلَهُ التي يمشي بها، ولئنْ سأله ليعطينَّهُ، ولئن استعاذهُ لَيُعِيذَنَّهُ.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قالَ: قالَ رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاثةٌ يحبُّهمُ اللَّه ويضحك إليهم ويستبشرُ بهم** - وذكر من بينهم - **والذي لهُ امرأةٌ حسناءُ، وفراشٌ لينٌ حسنٌ، فيقومُ مِنَ اللَّيل،**

فيقولُ: يذرُ شهوتَهُ ويذكُرني، ولو شاءَ رقدَ»[1].

فيا لها منْ درجةٍ عظيمةٍ، ومنزلةٍ رفيعةٍ، أنْ تنالَ حبَّ اللَّه سبحانه وتعالى. فاسلكْ نفسكَ في سلكِ العاملينَ، وتشبَّه بالصَّالحين، وسِرْ سيرَ المتقينَ، وجاهدْ نفسكَ في سبيل ربِّ العالمينَ، عسى أنْ تصلَ إلى مرتبةِ المحسنينَ، وتكونَ في الآخرةِ مِنَ الفائزينَ.

(١) رواه الطبراني في «الكبير»، وحسَّنه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٦٢٩).

❍ النجاة من الفتنِ:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً فَزِعًا، يَقُولُ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ! مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْخَزَائِنِ؟ وَمَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْفِتَنِ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ** - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ - **لِكَيْ يُصَلِّينَ؟، رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الآخِرَةِ**»[1].

وفي ذلكَ تنبيهٌ على أثرِ الصَّلاةِ باللَّيلِ في الوقايةِ مِنَ الفتنِ. ذلكَ أنَّ

(١) رواه البخاري (١١٥ و٧٠٦٩).

الصَّلاةَ في اللَّيلِ زمنَ الفتنِ، لها آثارٌ عظيمةٌ وفوائدُ جليلةٌ على المتمسِّكِ بها، ففي زمنِ الفتنِ يضطربُ النَّاسُ ويموجونَ، وتضطربُ الأمورُ أيَّما اضطرابٍ، فيحتاجُ المسلمُ إلى صلةٍ باللَّه قويةٍ، تُهَدِّئ منْ رَوْعهِ، وتقوِّي روحهُ، وتُثبِّتُ قدمه، وتشرحُ صدرَهُ، وتقوِّي المسلم على شيطانهِ ووساوسِ نفسهِ، فيصبح المسلمُ المصلِّي باللَّيل نشيطاً منشرحاً مستبشراً، قريباً مِنَ الآخرةِ، متجافياً عن دارِ الغرور، كثيرَ الاستبشارِ بوعدِ اللَّه، وهذا منْ شأنهِ أنْ يجعلَ قدمَ المسلمِ راسخةً في الحقِّ

فلا يموجُ حين الفتن كما يموجُ النَّاسُ، ولا ينزلِقُ كما يَنْزَلِقُونَ، ولا يضطربُ كما يضطربون[1].

○ قيامُ الليلِ سببٌ لمباهاة الملائكة:

عن ابن مسعود رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**عَجِبَ ربُّنا تبارك وتعالى منْ رجلَيْن: من رجلٍ ثَارَ منْ لِحَافهِ وفِراشِهِ، منْ بينِ حِبِّهِ وأهلهِ إلى صلاته، فيقول اللَّه لملائكتهِ: يا ملائكتي: انظروا إلى**

(١) انظر: موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنَّة (ص ٣٨٩).

عبدي هذا قام من بين فراشهِ ولِحَافِهِ منْ بين حِبِّهِ وأهلهِ إلى صلاتهِ، رغبةً فيما عندي، وشَفَقَةً مِمَّا عندي»[1].

تأمَّل معنى ثار: فإنَّ «فيهِ إشارةً إلى قيامه بنشاطٍ وعزم»[2]؛ ولمْ يقلْ قامَ، لأنَّ القيامَ قد يقعُ بفتورٍ؛ وأمَّا الثورانُ، فلا يكونُ إلَّا بالاسراعِ، حذراً منْ فائتٍ ما[3].

(١) رواه أبو يعلى (٥٣٦١ و٥٣٦٢)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٦٣٠).
(٢) لطائف المعارف (٩٢).
(٣) الفوائد (ص ٣٥٧).

○ الفوز بالجنان ورضى الرحمن:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلام رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ**»[1].

اسمعوا صفاتِ هؤلاءِ الأقوام، أَفْشَوُا السَّلامَ، وبذلوا الطعامَ، وصَلَّوا باللَّيل والنَّاسُ نيام، وانفردوا عَنِ

(١) رواه ابن ماجه (١٣٣٤)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٠٩٧).

الأنام، وخَلَوْا لمناجاةِ الملكِ العلَّام، أطاعوه في الخلواتِ، فمحا عنهمُ السَّيِّئاتِ، ورفعَ لهم الدرجاتِ.

هذه علاماتُ الصادقين. هذه مدائحُ المؤمنين. هذه آثارُ المتقين. هذهِ صفاتُ المجتهدين. هذهِ خصالُ المبادرين. فانتبهوا يا غافلين.

○ طرد الغفلة عن القلب:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ،**

وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ»[1].

وهذا فضلٌ عظيمٌ، وأجرٌ وفيرٌ. فطوبى لكَ يا قائمَ اللَّيلِ بهذا الثوابِ العظيمِ، والأجرِ الكريمِ الجزيلِ.

فعليك يا أخي من قيام الليل بما يُزيلُ عنكَ اسم الغفلةِ، وأقلّ ذلكَ بعشرِ آياتٍ. فمنْ داومَ عَلَى ذلكَ فقد ربحَ ربحاً عظيماً، وثواباً جسيماً.

(١) رواه أبو داود (١٣٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٢٤٦).

❍ تثبيتُ القرآنِ في الصَّدرِ:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا قامَ صاحبُ القرآن فقرأه باللَّيل والنَّهارِ ذكَره، وإذا لمْ يُقمْ به نَسِيَهُ**»[1].

فالقرآن العظيم لا يثبُتُ في الصَّدر، ولا يُسهِّلُ حفظَهُ إلَّا القيامُ في جوفِ الليل.

❍ إجابة الدعاء:

عنْ عبادةَ بنِ الصامتِ رضي الله عنه قَالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «**مَنْ تعارَّ من**

(١) رواه مسلم (٧٨٩).

الليلِ فقالَ: لا إله إلَّا اللَّه، وحده لا شريك له، لهُ الملكُ، ولهُ الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير. الحمدُ للَّهِ، وسبحان اللَّه، ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر، ولا حول ولا قوة إلَّا باللّه، ثمَّ قال: اللهمَّ اغفر لي، أو دعا استجيب لهُ، فإن توضأ قُبِلَتْ صلاتُهُ»[1].

هذا حديثٌ من أَجَلِّ القرباتِ، وأفضلِ الطاعاتِ، وهو حديثٌ جليلُ القدرِ عظيمُ النَّفعِ. وهو مشتملٌ على

(١) رواه البخاري (١١٥٤).

أجرٍ عظيم وتجارةٍ رابحةٍ، نحنُ عنْ فضلها غافلُون.

فالإنسانُ يعلمُ بهذا الفضل العظيم، والثواب الجزيل، فكيفَ بهِ يفضِّلُ النَّومَ على القيام لمناجاةِ الملكِ العلَّام؟! إنَّ هذَا لَشَيءٌ عُجَاب.

❍ الفوز برحمةِ اللّه:

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «**رحمَ اللَّهُ رجلاً قامَ مِنَ اللَّيلِ فصلَّى وأيقظَ امرأتهُ فصلَّتْ، فإنْ أَبَتْ نضحَ في وجهها الماءَ. ورحمَ اللَّه امرأةً قامتْ مِنَ اللَّيل**

فصلَّتْ وأيقظتْ زوجَها، فإنْ أبى نضحتْ في وجههِ الماءَ»[1].

فاجتهدْ ـ بَارَكَ اللَّهُ فيكَ ـ أنْ ينالَكَ دعاؤهُ ﷺ.

○ تكفيرُ السيئاتِ:

إنَّ قيامَ اللَّيلِ سببٌ لتكفيرِ السَّيِّئاتِ؛ فإنَّ بني آدمَ يخطئونَ باللَّيلِ والنَّهارِ فيحتاجونَ إلى الاستكثارِ منْ مكفِّراتِ الخطايا. وقيامُ اللَّيل منْ

(1) رواه أبو داود (٥٠٤٢)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٤٢١٦).

أعظمِ المكفِّراتِ[1].

قالَ النَّبيُّ ﷺ لمعاذ: «**ألا أدلُّكَ على أبوابِ الخيرِ؟ الصَّومُ جنَّةٌ، والصَّدقةُ تُطفئُ الخطيئةَ كما يُطفئُ الماءُ النَّارَ، وصلاةُ الرَّجلِ من جوفِ الليلِ**». ثمَّ تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ ـ حتى بلغ ـ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦][2].

يعني: صلاةَ الرَّجلِ في جوفِ

(1) لطائف المعارف (ص ٨٩).
(2) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢١١٠).

الليلِ تطفئُ الخطيئةَ كما يطفئُ الماءُ النَّارَ.

○ شهود لنزول الرحمن:

اللَّيلُ أمرهُ عظيمٌ، والخيرُ فيهِ جزيلٌ عميمٌ. وهو موسمٌ لنزول الرَّبِّ الرَّحيم سبحانه وتعالى إلى السَّماء الدنيا، ليجيبَ الدعواتِ، ويغفرَ الزَّلاتِ، ويعطي المسؤولاتِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تبارك وتعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي**

فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»[1].

فينبغي لنا أنْ نغتنمَ هذا الجزءَ مِنَ اللَّيلِ الذي هو أشرفُ أوقاتِ الصَّلواتِ والأذكارِ والدعوات. ما دعا اللَّه فيه داعٍ إلَّا أجابهُ، وبلَّغهُ أملاً ومَقْصِداً، ولا سألهُ سائلٌ إلَّا أعطاهُ سؤلَهُ، وجاد عليه بالفضلِ والنَّدى، فيا فوز منْ أحياهُ، لقد نالَ فخراً وسُؤدُداً، وفاز فوزاً عظيماً، ومنْ حُرِمَهُ فقد حُرِمَ خيراً كثيراً.

(1) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) وهو حديث متواتر.

يا أخي: تيقظ في ساعاتِ الأسحارِ عندَ نزولِ الجبَّارِ، وأحضرْ بقلبكَ قولَ العزيزِ الغفَّارِ: هلْ منْ سائلٍ فأعطيهُ؟ هل من داعٍ فأستجيبَ لهُ؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له؟ لعلَّكَ تحظى بالقبول، وتفوز بالمسؤول، وتدرك المطلوبَ والمأمولَ.

❍ يورثُ سكنى غرفٍ في الجنان:

عن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ في الجنَّة لَغُرَفاً يُرى ظهورُها من بطونِها، وبطونُها من ظهورِها**». فقام إليه أعرابي فقال: لمن هي يا رسول اللّه؟ قال: «**هي لمن أطابَ الكلامَ، وأطعمَ الطعامَ، وأدامَ الصيامَ،**

وصلى للَّه باللَّيل والنَّاسُ نيامٌ»[١].

فما لنا لا نتَّصفُ بهؤلاءِ الرجالِ، وما بالُ أسماعنا لا تُنْصِتُ إلى صحيحِ المقالِ، أَرَضِينا بالفاني عَنِ الباقي بديلاً؟!

إخواني: قوموا لله في اليسيرِ مِنَ الأوقاتِ، والقليلِ مِنَ الساعاتِ، ما يبلِّغكم أعلى الدرجات. فكمْ لله على المتهجِّدينَ منْ فضلٍ عظيمٍ، وكمْ لهُ على القائمينَ من ألطافٍ وخيرٍ جسيم.

(١) رواه الترمذي (٢٥٢٧)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢٠٥١).



❍ قيامُ الليلِ من أفضلِ الطاعات:

إنَّ قيامَ اللَّيلِ منْ أفضلِ الطَّاعاتِ، بعدَ الصَّلَواتِ المفروضاتِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَفْضَلُ الصِّيَام بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلاةُ اللَّيْلِ**»[١].

وإنَّما فُضِّلَتْ صلاةُ اللَّيلِ على صلاةِ النَّهارِ لأنَّها أبلغُ في الإسرارِ وأقربُ إلى الإخلاصِ.

عَنْ صُهَيْبِ بنِ النُّعْمانِ رضي الله عنه قال:

(١) رواه مسلم (١١٦٣).

قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «**صلاةُ الرَّجلِ تطوُّعاً حيثُ لا يراهُ النَّاسُ تعدِلُ صلاتَهُ على أعينِ النَّاس خمساً وعشرينَ**»[١].

ولأنَّ صلاةَ اللَّيلِ أشقُّ على النُّفوسِ، فإنَّ اللَّيلَ محلُّ النَّومِ والراحةِ مِنَ التَّعبِ بالنَّهارِ، فتركُ النُّومِ مع ميلِ النَّفسِ إليهِ مجاهدةٌ عظيمةٌ.

ولأنَّ القراءةَ في صلاةِ اللَّيلِ أقربُ إلى التدبُّرِ، فإنَّهُ تنقطعُ الشَّواغلُ بالليلِ ويحضُر القلبُ، ويتواطأ هوَ واللِّسانُ على الفهمِ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ

(١) رواه أبو يعلى، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٢١).

ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ [المزمل: ٦]. ولهذا المعنى أمرَ بترتيلِ القرآنِ في قيامِ اللَّيلِ ترتيلاً.

❍ قيامُ الليل طريقُ الصالحين:

عَـنْ أَبِـي أُمَـامَـةَ رضي الله عنه قـال: قـال رَسُول اللَّهِ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ**»(١).

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٩)، وحسَّنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢٨١٤).

أي: هي عبادةٌ قديمةٌ واظبَ عليها الكُمَّلُ السابقون، واجتهدوا في إحرازِ فضلها.

❍ قيامُ الليل شهادة للعبد بالصلاح:

عـن ابـن عـمـر رضي الله عنهما قـال: قـال النَّبيُّ ﷺ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**». قال سالم: فَكَانَ عبد اللَّه بَعْدَ ذَلِكَ، لا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً(١).

فمقتضى هذا الحديث أنَّ منْ كان

(١) رواه البخاري (١١٥٧)، ومسلم (٢٤٧٩) واللفظ له.

يصلِّي من اللَّيل يوصف بكونه نِعْمَ الرجلِ. وهذه منقبةٌ عظيمةٌ، ومَزِيَّةٌ جَسِيمَةٌ، ينبغي لكلِّ مؤمنٍ أن يحرصَ عليها.

❍ يورث أعالي الدرجات:

عـن ابـن عـبـاس رضي الله عنهما قـال: قـال رسـول الـلَّـه ﷺ: «...**والـدَّرجـاتُ: إفشاءُ السلامِ، وإطعامُ الطعام، والصَّلاةُ بالليل والنَّاس نيامٌ**»(١).

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٣)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢٥٨٠).

هذهِ درجاتُ أهل الفضائل، وأهلها هم أهل الزُّلْفى والدرجاتِ العلى. ليلهم قيامٌ، يطلبون رضى ذي الجلال والإكرام. فآهٍ لهممهم إنَّها عاليةٌ. و آهٍ لمطلوباتهم إنَّها غاليةٌ. فاحرصْ يا أخي أنْ تكونَ مع هذهِ الرفقةِ، وناجِ مولاكَ، وامدحهُ بما هوَ أهلٌ لهُ في دجى اللَّيل.

❍ قيامُ الليل اقتداءٌ بالنبي ﷺ:

عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: لا تَدَعْ قِيَامَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لا يَدَعُهُ، وَكَانَ إِذَا مَرِضَ أَوْ كَسِلَ

صَلَّى قَاعِدًا[1].

لقدْ كانَ النَّبيُّ ﷺ يقومُ مِنَ اللَّيلِ حتَّى تتورَّمَ قدماهُ فأولى بنا وقدْ حملنَا أوزاراً لا قِبَلَ لنا بحملها، وارتكبنا مِنَ الذُّنوبِ والمعاصي ما قدْ يكون سبباً في هلاكنا وشقائنا، فأولى بنا وحالنا ما ذكرتُ، أنْ يكونَ لنا حظٌّ منْ قيامِ اللَّيلِ. عسى أن يغفرَ اللَّه لنا ذنوبنا، ويعظمَ لنا الأجرَ والمثوبةَ.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أنَّ نبيَّ اللَّه ﷺ

(١) رواه أبو داود (١٣٠٧)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (١١٥٩).

كَانَ يقوم من اللَّيل حَتَّى تَتَفَطَّرَ قدماهُ، فقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تصنعُ هذا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «**أَفَلا أحبُّ أن أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟!**»[1].

جعلَ الاجتهادَ والنَّصبَ في قيامِ اللَّيلِ منْ جملةِ الشكرِ، وهو ﷺ مِمَّنْ تفضَّلَ عليه ربُّه بالمغفرةِ.

فكيفَ بمنْ قامَ متجلبباً بجلبابِ الذنوبِ والآثامِ، متسربلاً بسربالِ

(١) رواه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

المعاصي والأوزارِ؟! فكيفَ بمنْ أثقلت الذنوبُ كواهلَهم؟!

❍ **قيامُ اللَّيلِ من صفاتِ الأبرارِ:**

عنْ أنسٍ رضي الله عنه قالَ: كانَ النَّبيُّ ﷺ إذا اجتهدَ لأحدٍ في الدعاءِ قالَ: «**جعلَ اللّهُ عليكم صلاةَ قومٍ أبرارٍ، يقومونَ الليلَ ويصومونَ النَّهارَ، ليسوا بأَثَمَةٍ ولا فُجَّارٍ**»[1].

فرسولُ اللَّه ﷺ في دعائهِ هذا

(١) رواه عبد بن حُمَيد في «المنتخب من المسند» (١٣٦٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨١٠).

يجعلُ أولَ صفاتِ الأبرارِ قيامهم باللَّيل.

❍ **قيامُ الليل من أبوابِ الخير:**

إنَّ صلاةَ اللَّيلِ، منْ أفضلِ ذخائرِ الأعمالِ، وأكثرها نفعاً في الدنيا والآخرة.

قال النَّبيُّ ﷺ لمعاذ: «**ألا أدلُّكَ على أبوابِ الخيرِ؟ الصوم جُنَّةٌ، والصدقة تُطفئُ الخطيئةَ كما يُطفئُ الماءُ النَّارَ، وصلاةُ الرجل في جوف الليل**». ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ ـ حتى بلغ ـ ﴿يَعْمَلُونَ﴾.

قوله: «**ألا**» كلمةُ تنبيهٍ، ينبِّهُ المتكلِّمُ السَّامعَ المُخَاطَبَ على أمرٍ عظيمِ الشأنِ، ظاهرِ البرهانِ. ولا شكَّ بأنَّ صلاةَ اللَّيل أمرها عظيمٌ، وشأنها كبيرٌ.

أخي: نم باكراً على طهارةٍ وذكرٍ بنيةٍ جازمةٍ للقيام.

عن الأَسْوَدِ قال: سألتُ عائشة ﵂: كيف صلاةُ النَّبيِّ ﷺ بالليل؟ قالت: «كان ينامُ أَوَّلَهُ، ويقومُ آخِرَه فيصلِّي...»[1].

وعن ابن عمرَ ﵄ قال: قال

(١) رواه البخاري (١١٤٦)، ومسلم (٧٣٩).

رسول اللّه ﷺ: «**طهِّروا هذه الأجسادَ طهَّركم اللَّه، فإنَّه ليسَ عبدٌ يبيتُ طاهراً إلَّا باتَ معه ملكٌ في شعاره، لا ينقلبُ ساعةً منَ اللَّيلِ إلَّا قال: اللَّهمَّ اغفر لعبدكَ؛ فإنَّه باتَ طاهراً**»[1].

وعن أبي الدرداء ﵁: عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**من أتى فراشَه وهو ينوي أن يقومَ يصلِّي من اللَّيل، فغلَبَتْهُ عيناه حتَّى أصبحَ، كُتِبَ له ما نوى،**

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٢٦٠)، وحسنه الألباني ﵀ في صحيح الجامع (٣٩٣٦).

وكان نومُهُ صدقَةً عليه من ربِّه ﷻ»[1].

أخي: اعلم ـ بَارَكَ اللَّهُ فيكَ ـ بأنَّ جنَّةَ اللَّه عالية، وقطوفها دانية، فبادر إلى صلاة اللَّيل بهمَّةٍ عالية.

أخي: تذكَّر قولَ النَّبيِّ ﷺ: «**إنَّك لنْ تدعَ شيئاً اتقاءَ اللَّهِ جلَّ وعزَّ، إلَّا أعطاكَ اللَّهُ خيراً منهُ**»[2].

فمنْ تركَ راحته ونومَهُ ولذَّتَهُ وفراشه

(١) رواه النسائي (١٧٨٧)، وصححه الألباني ﵀ في «صحيح سنن النسائي» (١٦٨٦).

(٢) رواه أحمد (٢٠٧٩٥ و٢٠٨٠٢ و٢٣١٨٠) وسنده صحيح على شرط مسلم.

الدافعِ للَّه تعالى، طلباً لمرضاته وابتغاء الزلفى لديه، فهذا قد تاجرَ مَعَ اللَّه وعامله، واللَّه تعالى لا يضيعُ أجرَ منْ أحسنَ عملاً، ولا يخيبُ معهُ منْ عامله؛ فحقَّ لهُ أنْ ينالَ مقاماً كريماً ويجازى جزاءً عظيماً.

❁ ❁ ❁

الخاتمةُ

الحمدُ للَّه الذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتديَ لولا أنْ هدانا اللَّه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خاتم الأنبياءِ والمرسلين.

لقدْ علمنا فضلَ قيام اللَّيلِ، وما لهُ مِنَ الفضلِ العظيمِ، والأجرِ الجزيلِ، والذُّخرِ الكريمِ، عندَ اللَّهِ ﷻ. فطوبى لمنْ يسِّرَ لهُ، وأُعينَ عليه.

وهذه الخصلةُ التي عظمَ قدرها، تحتاجُ إلى همَّةٍ عاليةٍ وجُهْدٍ شديدٍ.

قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إنِّي لم أجدْ مِنَ**

العبادةِ شيئاً أشدَّ مِنَ الصَّلاةِ في جوفِ هذا اللَّيلِ»(١).

فتأمَّل هذهِ الجملَة جداً، واغتنمْ هذهِ الخصلة الشريفة، واستعنْ باللَّهِ تعالى، فإنَّ الأمرَ بيدهِ ومنهُ التَّوفيقُ، ولا حولَ ولَا قوَّةَ إلَّا باللَّه العليِّ العظيم.

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ٣١٧)، بسند صحيح.

فهرس